

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيرىوس كيرىوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد القديس الرسول يعقوب أخى الرب أول رؤساء أساقفة أورشليم 2015-11-5

“طُوبَى لِلرَّسُولِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنْتَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّسُولُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ” هذا ما يُعلنه القديس يعقوب أخو الرب في رسالته الجامعة.

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،
أيها المسيحيون الزوار الأتقياء،
تبتهجُ كنيسةَ أورشليم المقدسة اليوم مكرمةً تذكّار الشهيد في رؤساء الكهنة القديس الرسول يعقوب أخى الرب أول راعٍ ورئيس أساقفة على أورشليم.

لقد اقتبل القديس يعقوب استنارة الروح القدس برغبةٍ ولهفةٍ، وأصبحَ مُعلماً ومبشراً بالبشارة المقدّسة إنجيل المسيح وبملكوته السماوي، لهذا فقد استبّانَ من الإله الكلمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، راعياً ومعلماً، ومدبراً أميناً للأسرار الروحية، ولأنه كان ورعاً وتقياً جداً، استحقَّ لقب الصدّيق، إضافة إلى تسميته بأخى الرب.

إن رسالة القديس يعقوب أخو الرب والتي هي، (الرسالة الجامعة)، هي مصدرٌ إلهيٌّ للتعاليم الموحى بها والمواعظ المتعلقة بالإيمان النقيّ ونمط الحياة الصحيح الأصليّ، لأعضاء الكنيسة المسيحية من المؤمنين.

وبمعنى آخر إن حياة الإنسان المسيحي عليها أن تكون متمثلةً و مقتديةً بالقول وبالفعل بربنا ومخلصنا يسوع المسيح كما يقول القديس الحكيم الرسول بولس: “كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا زَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ”. (1كور 11: 1).

ويعلق على هذا القول القديس أثناسيوس الكبير قائلاً: “أنه علينا أن نقتدي بالمسيح بحسب بشريته، وذلك لأنه من المستحيل أن يقتدي

به أحدٌ بحسب ألوهيته. فالمسيح هو الأصل ونحن جميعاً مدعوون لكي
نتمثلُ به.

لقد أوضح لنا ربنا يسوع المسيح أيها الأعبة أهمية الصبر وقوته
قائلاً: "بِصْبِرِكُمْ أَقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ" (لوقا 21: 19)
وفي موضع آخر يقول: "وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَيَّ
الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ." (متى 10: 22)

و يقصد الرب بالصبر هنا بأنه الصبر المتعلق بالتجارب والأحزان
المتنوعة والظلم والآلام التي نعاني منها خلال حياتنا الأرضية. ولنا
في حكمة سيراخ خيرُ مرشدٍ إذ يقول أنه إذا أقبلنا لخدمة الله ،
فلنستعد بالصبر على التجارب القادمة "يا بُنْدِيَّ، إِنَّ
أَقْبِلَاتَ لِيَخِدَمَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ، فَاتَّيْبَتْ عَلَيَّ
الْبِرُّ وَالْتَّقْوَى، وَأَعْدِدْ نَفْسَكَ لِتَجْرِبَةٍ.
أَرَشِدْ قَلْبَكَ وَاحْتَمِلْ. أَمِمْ أذُنَكَ وَأَقْبِلْ
أَقْوَالَ الْعَقْلِ، وَلَا تَعْجَلْ وَقَتِ الذُّوَابِ.
انْتَظِرْ بِصْبِرٍ مَا تَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّ لَازِمَهُ وَلَا
تَرْتَدِدْ، لِكَيْ تَزِدَّادَ حَيَاةً فِي أَوَاخِرِكَ. مَهْمَا
زَابَكَ فَأَقْبِلْهُ، وَكُنْ صَابِرًا عَلَيَّ تَقْلَابَاتِ حَالِكَ
الْوَضِيعِ، فَإِنَّ الذَّهَبَ يُمَحَّصُ فِي النَّارِ،
وَالْمَرْضِيُّينَ مِنَ النَّاسِ يُمَحَّصُونَ فِي أُتُونِ
الِاتِّضَاعِ." (حكمة سيراخ: 2: 1-5)

لذلك فإن القديس يعقوب يدعونا أن نحسبه فرحاً عندما نقع في
التجارب والأحزان المتنوعة. أي الفرح الذي ينبع أثناء تجربة
إيماننا في المسيح المصلوب والناهض من القبر. وذلك لأننا سنحصل من
خلال تجاربنا المُحزنة واختبارات إيماننا على الصبر الثابت الذي لا
يتزعزع "احْسَبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَأْتِي إِخْوَتِي حِينَ مَا
تَقَعُونَ فِي تَجَارِبِ مُتَذَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ
امْتِحَانَ إِيْمَانِكُمْ يُنْشِئُ صِدْرًا." (يع 1: 2-3)
ويقول القديس إيكومينيوس بهذا الصدد: بأنَّ التجارب نوعان؛ النوع
الأول ويأتي من الشرير والنوع الثاني من الله وذلك لكي نتدرب
ونسمو روحياً إلى العلاء.

وكمثال ونموذج للصبر الذي ترضيه مشيئة الله، يظهر لنا القديس
يعقوب أخي الرب الأنبياء الكبار والمُكْرَمِينَ من الله مثال موسى
وإيليا واشعيا وإرميا وبالأخص العظيم المجاهد في الصبر أيوب، إذ
يقول: "خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالًا لِاحْتِمَالِ الْمُشَقَّاتِ
وَالْأَنَاةِ: الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ
الرَّبِّ. هَا نَحْنُ نَطْوِسُ الصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ

بِصَّبْرٍ أَيْسُوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّسَبِ . لِأَنَّ
الرَّسَبَ كَثِيرُ الرِّحْمَةِ وَرَوْوْفُ . (يع 5 : 10-11)

ويطوبُّ القديس يعقوب الصابرين على التجارب والأحزان لأن هؤلاء سينالون إكليل الحياة "لأنَّه إِذَا تَزَكَّيَ يَنْدَالَ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّسَبُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (يع 1 : 12) وإكليل الحياة هذا ما هو إلا الحياة الأبدية أي خلاص نفوسنا. وهذا الإكليل الذي سننالُه ليس بسبب أعمالنا ولكن لصلاح الله الذي وعدنا به كما يعلمنا القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسيره لرسالة القديس يعقوب أخي الرب.

لقد استنرت من الروح الإلهي، روح المسيح، يا أبا الرب يعقوب فظهرت بالعمل والقول عاملاً لإنجيل صلاح الله وأول راعٍ لآورشليم ومعلماً ومدبراً أميناً لأسرار الروح كما يقول مرثم الكنيسة:

هلمُّوا يا متألَّهي الألباب نكرمُّ مُحترمين تذكَّارِ أخي الرب لأنه اقتبل نير المسيح عن ارتياحٍ ونشاط. فأضحى كاروزاً بإنجيل صلاحه وبملكوته. وأتُمن على سرِّ تدبيره المتعذِّر وصفه. فبوساطته امنحنا الغفران يا قدير.

إن عيد أخي الرب وشهيد محبة المسيح يعقوب الذي نُقيمُ تذكَّاره اليوم في هذا الهيكل المُشيد على اسمه بجانب موضع آلام صليب ربنا يسوع المسيح أي الجلجثة يشكل شاهداً حياً وصادقاً على الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّسَبُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ (يع 1 : 12)، أنه لا يتركهم.

وبكلام آخر إن ربنا وإلهنا لا يترك شعبه في صعوباتهم وتجاربهم كما يقول القديس بولس الرسول العظيم مُكْتَتِّدِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، لَكِنَّ غَيْرَ مُتَضَاعِفِينَ ، مُتَحَيِّرِينَ ، لَكِنَّ غَيْرَ يَائِسِينَ ، مُضْطَّهِدِينَ ، لَكِنَّ غَيْرَ مَتَرُوكِينَ ، مَطْرُوحِينَ ، لَكِنَّ غَيْرَ هَالِكِينَ (2كور 4 : 8-9).

ختاماً نتضرع أيها الإخوة الأحباء إلى إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ومع المرتل نهتف قائلين: "يا يعقوب يا معاين الله وأول رئيس كهنة لآورشليم وسائر الأرض المقدسة فلسطين هبنا من لدن أبي الأنوار موهبةً كاملةً. واقصِّ عنَّا الكرب الحاضر والمُقبِل الناشئ عن كثرة زلاتنا. فإنَّ الأعداء قد رفعوا علينا العقب. وأحاقوا بنا. فحطم قسيهم سريعاً. لكي يا يعقوب الرسول مع والدة الإله الدائمة البتولية مريم نُكْرِمُكَ كُلَّنا. آمين."